النشاط الثقافي في الغرب

الاتحاد السوفياتي

تكريم اهرنبورغ ..

* *

احتفل الاتحاد السوفياتي واتحاد الادباء السوفيات منذ حين ببلوغ الكاتب الشهير ايليا اهرنبورغ السبعين من عمره ، وقد احيط هـذا الاحتفال بهالة من التقدير اوهبة هذا الكاتب التي لا شك في انها موهبة نادرة . غير ان هناك شيئا واضحا في موقف ايليا اهرنبورغ نفسه في الاتحاد السوفياتي : فهو قد سجل بين الادباء السوفيات الرقم القياسي الاول في عدد « انحرافاته » عن « الخط » الرسمي للحزب في الميدان الادبي ... ان كثيرا من كتاباته (دراساته عن ستاندال وتشيكوف ومقالاته المختلفة) تتضمن نقدا صريحا « للواقعية الاشتراكية » . وفي الوقت الذي تتجول فيه اقمار السبوتنيك في السماء ، ويشجع الحزب الشيوعي تفتح « نزعة انسانية علمية » في اوساط الشباب خصوصا ، تسمح صحف الكومسومول لاهرنبورغ بان يؤكد بان مشكلاتنا تبقى قائمة هنا ، على الارض ، وان هدف الشيوعية الابعد « ليس هو اتقان المكنات ، وانما الوصول الى علاقات بين البشر تقوم على مزيد من التفاهم والتفهم . » وقد كتب بعد ذلك يقول : « ايها السبوتنيك الذي اطلقناه الى السماء ، ابق في السماء ! » .

وقد كلفه هذا الموقف ازدياد عدد اعدائه من المفكرين ، ومع ذلك ، فهو يتحداهم بكثير من الجراة ، وقد قال لهم منذ اسبوعين ، بعد ان اشار الى ضعف الانتاج السوفياتي الادبي الراهن ـ وكانوا قد اجتمعوا لتكريمه ـ : « لو كان تشيكوف موجودا لفر من هذه القاعة ! »

والسؤال الآن : لماذا هذا التسامح الفريد من قبل سلطات الحزب العليا تجاه هذا العجوز المريع ؟ الانه يمثل في الخارج ، حين يزور بلاد اوروبا ، الادب السوفياتي الحديث ؟ ان هذا التفسير غير كاف ولا مقنع اذا تذكرنا الدور الهائل الذي يلعبه اهرنبورغ بتفكيره اللاانقيادي بين اوساط الشباب في الاتحاد السوفياتي . ايكون في ذلك اذن تباشير لمرحلة جديدة من حرية الفكر ؟ انه سؤال ليس من السهل الاجابة عليه !

قضية « اولغا ايفانسكايا »

« كان الشاعر الروسي الكبير ، بوريس باسترناك ، في السنوات الاخيرة من حياته ، ضحية امراة لا قلب لها ولا ضمير ، كانت تستغل صداقته لتجمع مبالغ مالية ضخمة ولتصبح صاحبة ملايين في بلاد السوفيات » .

على هذا النحو اوضح راديو موسكو ، في احدى اذاعات الشهر الماضي ، سبب الحكم بثمانية اعوام في السجن على اولغا ايفانسكايا صديقة باسترناك ومساعدته ، والتي اوحت له بشخصية « لارا » في رواية « الدكتور زيفاغو » .

وبالامكان ان يظن المرء ان في ذلك دليلا او مبررا لما ينويه المسؤولون في روسيا من امر « اعادة الاعتبار » لباسترناك بعد موته ، وان اولغا لم تكن الا الضحية المعهودة التي يقع عليها عبء التكفير عن اخطاء الشاعر « المعادية للوطنية » .

ولكن الواقع ان اذاعة راديو موسكو هذه لم تكن موجهة للروس انفسهم ، وانما اذيعت بالانكليزية والفرنسية فقط . وعلى هذا فان السوفيات يجهلون كل شيء عن هذه القضية التي جرت المحاكمة حولها بصورة سرية في موسكو بشهر ديسمبر الماضي ، والتي لم يكشف عنها النقاب الا بفضل قلة الاحتراس التي ارتكبتها دار « غوسيزادات » للنشر .

لقد كانت اولغا ايفانسكايا اكثر من صديقة لباسترناك كانت وكيلته الادبية ومستشارته . وقد حاول بيروقراطيو اتحاد الكتاب الروس ان يستخدموها في الماضي اكثر من مرة ليمارسوا الضغط على الشاعر. وفي اثناء العملية الجدانوفية عام ١٩٤٨ ، دعيت للشهادة ضد صديقها، وبعد رفض كلي ، اختفت لمدة خمسة اعوام . ولم يلتق باسترناك بصديقته مرة اخرى الا بعد موت ستالين ، وكان قد لزم الصمت طوال هذه المدة .. فهل كانت في السجن ، ام كانت مبعدة الى احدى تلك المناطق السيبيرية الموصوفة في « الدكتور زيفاغو » .

ومنذ عهد « ذوبان الجليد » بقيت الى جانبه ووضعت كل طاقتها ومعرفتها للغات الاجنبية في خدمة الشاعر. وهي التي قامت بالاتصالات مع دار « فلترينللي » للنشر فاتاحت ظهور « الدكتور زيفاغو » في بلاد الغرب . وهنا نفهم السبب الذي جعلها تبدو في عيون الرسميين السوفيات كملهمة شريرة لباسترناك .

ولا شك في ان الاهتمام الذي اثارته قضية باسترناك في العالم كله اثر ظهور روايته ونيلها جائزة نوبل هو الذي حمى الشاعر وصديقته . ولكن باسترناك عاش اخر شهور حياته في رعب من ان يحدث شيء ما لاولغا ايفانسكايا .

وقد تحقق خوفه هذا بعد بضعة اشهر من موته ، فقد اختفت اولغا وابنتها معا ، وحاول اصدقاؤهما الاجانب ان يعرفوا خبرهما ، ولكن عبثا . واخيرا عرف احد الاصدقاء بواسطة دار نشر الدولة ان اولغا قد حكم عليها لانها استغلت بعض الطلاب بان جعلتهم يشتغلون في الترجمة ، وكانت تدفع لهم ثلاثة روبلات للصفحة ثم تتقاضى عن هذه الصفحة المترجمة عشرة روبلات. واتهمت ابنتها الطالبة في معهد غوركي بموسكو بانها شريكتها . وقد حكم عليها بالسجن ثلاثة اعوام .

ولكن راديو موسكو اورد منذ اسابيع رواية اخرى مفادها ان اولغا ايفانسكايا قد نصحت لباسترناك ان يعدل عن تقاضي حقوقه كمؤلف من البلاد الاجنبية لتتمكن هي من تقاضيها بصورة اجدى فيما بعد . وقد تجنبت القيام باي تحويل رسمي ، وتسلمت بيدها مبالغ طائلة من المال ، ما عدا الهدايا العينية . وقد جمعت ٨٠٠ الف روبل قبل اول العام الحالي ، وهكذا تكون قد خرقت قانون القطع القائم في الاتحاد السوفياتي ، واعترفت بجريمتها .

ولكن اذا كان هذا صحيحا ، فلماذا حوكمت محاكمة سرية ؟ ولماذا لم يقلق اي اجنبي سلمها هذه المبالغ الضخمة ؟ ولماذا دامت هذه التجارة سنة كاملة ـ كما قال راديو موسكو ـ ولم تقطع منذ البدء ، ما دامت السلطات كانت تعرفها ؟

ان التفسيرات الرسمية غير مقنعة البتة . ولهذا تظل اولغا ايفانسكايا في نظر الكثيرين ضحية ثار يطرح الشك على ما وجد به المسؤولون السوفيات ، ويثبت ان اعداء الانقيادية في الاتحاد السوفياتي ما يزال امامهم صعوبات كثيرة ...

دخل الادباء السوفيات ..

نشرت مجلة « ليتراتورنايا غازيتا » التي تصدر في موسكو مقالا طويلا في احد اعدادها الاخيرة تتحدث فيه عن اوضاع الادباء في الاتحاد السوفياتي .

النشاط الثقافي في الغرب

وقد نفت المجلة ما هو شائع عن ان الادباء السوفيات يربحون مبالغ جنونية من كتاباتهم . وهي ترى ان النساء « آكلات الرجال » اللواتي يتصورن انه يكفي احداهن ان تتزوج اديبا لتملك « مقصورة وسيارتين وحمامات معطرة ، ويكون لديها مدلكة خصوصية وكونياك فرنسي مع الطعام . » ان هؤلاء النساء على خطأ جسيم . وقد وقع في مثل هذا الخطأ ايضا ، في راي المجلة الادبية ، صحيفة سوفياتية اخرى اسمها « الشرعية السوفياتية » تدعي ان الادباء السوفيات يعيشون في بذخ مبالغ فيه ، ولا ينتجون آثارا جيدة لانهم لم يعودوا يعرفون البؤس الخصب الذي عرفه كثير من الادباء السابقين .

وتؤكد « ليتراتورنايا غازيتا » ان ٣٠٧٪ فقط من الروائيين والمؤلفين المسرحيين السوفيات يربحون اكثر من ثلاثة آلاف روبل في الشهر (يعني راتب مهندس اختصاصي ، مع العلم بان راتب العامل المتوسط ٨٠٠ روبل في الشهر) .

ولعل « آكلات الرجال » السوفياتيات سيعدلن بعد الان عن ملاحقة الادباء ، وسيوجهن نشاطهن الى جهات اخرى ، الا اذا لم يصدقن ما تقوله هذه المجلة التي هي بعد كل حساب لسان حال اتحاد الادباء السوفيات ...

فرنسا

« اصوات في القصبة »

* *

لا تزال « حرية الفكر » في فرنسا تصاب بين الحين والحين بطعنات شديدة بسبب مصادرة الكتب والصحف ، بدعوى « المساس بأمن الدولة » . واكثر ما يصادر من هذه الكتب والصحف ما يتحدث عن القضية الجزائرية ويعطي لفرنسا الوجه الصحيح الوحيد الذي يعبر عن الحرية الحقيقية للفكر الفرنسي .

ولكن اعجب ما حدث في الشهر الماضي مصادرة كتاب « اصوات في القصبة » وهو كتاب الفه شاعر باللغة الفرنسية واسمه حسين بوهازر ، والكتاب يضم مجموعة قصائد ومسرحيتين . ولكن سبق للكتاب الذي طبع منه ٣٥٠٠ نسخة ان اخذ سبيله الى عدد من القراء قبل مصادرته بصفة « الاستعجال » وبتهمة « المساس بأمن الدولة » ... اليس في هذا دليل جديد على ما تخشاه السلطات الحاكمة من ان يقتنع باقي الذين لم يقتنعوا في فرنسا بعد بان سياسة الارهاب والتنكيل التي تتبعها الحكومة الفرنسية هي سياسة انتحار لها ؟

عقود الادباء

تعد آن ريف احد العقول المحركة لدار نشر جوليار في باريس ـ وهي تتولى فرع الترجمات وتتعهد عقود الادباء . فما هو عقد المؤلف ؟

« في مبدأ الامر يعطى المؤلف ١٠ بالمئة من عائدات الكتاب . وهذه النسبة ترتفع بارتفاع كمية المطبوع ، فاذا كان المطبوع ١٠ آلاف كانت النسبة ١٢ بالمئة . »

وعلى هذا فان الـ ٨٣٠ الف نسخة التي طبعت من رواية « مرحبا ايها الحزن » لفرانسواز ساغان تشكل مدخولا ضخما للمؤلفة .. ولكن آن ريف تعلق على ذلك بان الادباء ليسوا جميعهم فرانسواز ساغان :

« فنحن نطبع لمؤلف مبتدىء ثلاثة الاف نسخة . ويمكن القول بان الرواية الاولى لاي مؤلف هي خاسرة بصورة دائمة تقريبا لانها تكلف الناشر زهاء مليون فرنك .. فبالنسبة الى نفقات الطباعة وثمن الورق والنسخ المجانية (حوالي ٣٥٠ نسخة) والنفقات العامة والاعلانية ، يمكن القول ان اي مؤلف لا يمكن ان يربح الا بعد كتابه الثالث » .

وتقول آن ريف ان دار جوليار نشرت في العام الماضي ١٢٩ مخطوطة من ثلاثة الاف مخطوطة قدمت اليها ، وهذا الرقم يرتفع دائما ، والادباء يكتبون كثيرا في فرنسا .

« والقراء يقراون كثيرا ، ولكن هل تعرفون ان الرواية الناجحة كانت تطبع ١٠٠٠ نسخة فقط عام ١٩٠٠ ؟ اما اليوم ، فالرواية الناجحة تطبع ما بين خمسين الفا وتسعين الفا ، وهذا يعني ان عدد القراء في فرنسا يأتي في الطليعة بالنسبة لقراء العالم (مع الاتحاد السوفياتي والمانيا واليابان والبلاد السكانديناقية) . اما في الولايات المتحدة التي يبلغ عدد سكانها ١٧٠ مليونا فان انجح الكتب تطبع ٢٥ الف نسخة فقط .

الفن والفلسفة

يلقي الفيلسوف المعروف موريس ميرلو بونتي سلسلة محاضرات هذا العام في « كوليج دو فرانس » حول موضوعات فلسفية وادبية وفنية . وقد استشهد في اولى محاضراته باقوال لبول سيزان ، وقال ان بين ما يسعى اليه الفنان وما يسعى اليه الفيلسوف شبها كبيرا . وقد كان سيزان يقول : « ان ما احاول ان اترجمه لكم يمتزج بأصول الكائن نفسها ، وبمنبع العاطفة الذي لا يمكن لمسه ».

وجهد الفنان ، واحيانا عبقريته ، يكمنان في ملامسة الكائن للفن . ويقول ميرلو بونتي في ذلك : ان نظري حين اتأمل لوحة ما لا يعلق في الموضوع وانما يدخل في شيء ما هو الياف الكائن نفسه » .

واذا كان ميرلو بونتي يتحدث بعد ذلك عن دستويفسكي ، فانما يقصد الى مهمة فلسفية محض : فهو اذ يقارن طريقة تفكيرنا بالطريقة التي يعبر فيها الديكارتيون الكبار حين ينبجون آثارهم ، انما يحاول ، في هذه الفترة التي تبدو فيها الفلسفة وكانما اصبحت فلسفة « المحس » ، ان يعرف ما يمكن ان يكون عليه اليوم التفكير في الكائن ، اي الاونتولوجيا.

انكلترا

الموسم المسرحي

* *

في الربيع القادم ، يعرض « المسرح الملكي » في لندن مسرحية الاب الروحي للشباب « الغاضب » جون اوسبورن الجديدة ، وعنوانها « لوثر » وهي من اخراج توني ريتشاردسون ويقوم بدور البطولة الاولى البير فيناي ، الم ممثل في جيل الشباب الجديد .

وتبدو مسرحية « لوثر » قبل كل شيء دراسة تأملية للثورة واصولها ومغزاها وامتداداتها ، وهي تتناول ثلاث مراحل : اولا الشك في القيم القائمة ، ثم التمرد ورفض النظام السائد ، واخيرا التعقل والبحث عن معنى اشد خفاء تحت المظاهر الصاخبة .

وستسبق هذه المسرحية ، على المسرح نفسه ، عدة تمثيليات ذات اصل فرنسي ، اولاها « الزنوج » لجان جينيه ، من اخراج المخرج الفرنسي روجيه بلين ، ثم تليها مسرحية جان بول سارتر الاخيرة « مساجين التونا » وبعدها مسرحية ايونسكو المسماة « جاك او الخضوع » .

اما الآن فلا يزال المسرح الملكي يعرض مسرحية شيلاغ ديلاني « الاسد العاشق » ، وهي لوحة حية للافراح والهموم والاحلام التي تنتاب اسرة شعبية من شمال انكلترا . وتضع هذه المسرحية المؤلف في الصف الاول من جيله .